

الجمعة 9 جمادى الآخرة 1442 الموافق 22 يناير 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

فضل خلق الحِلْم

من أجلّ محاسن أخلاق الإسلام العظيمة خلق الحِلْم. ومعناه لغة: الأناة والعقل، وجمعه: أخلام وحُلوم (لسان العرب لابن منظور). واصطلاحاً: قال الرَّازِب الأصفهاني: الحِلْم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (مفردات ألفاظ القرآن ص 253).

أقول: والمقصود أن يَتَرَيَّث الإنسان وَيَتَثَبَّت في الأمر، وألا يعجل بالمؤاخذه، وأن يترك الانتقام مع القدرة عليه إبتغاء وجه الله تعالى .

وقد ورد في الكتاب والسنة فضل هذا الخلق العظيم والحث عليه، قال الله تعالى: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران: 134)

حُكِيَ أَنَّ جارية كانت تصبُّ الماء لِعَلِي ابن الحسين، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجّه (أي: جرحه) فرفع رأسه إليها. فقالت له: إِنَّ الله يقول: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ﴾ فقال لها: «قد كظمت غيظي» قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال لها: «قد عفوت عنك» قالت: ﴿وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «اذهبي فأنت حرّة لوجه الله» وروى مسلم في صحيحه عن أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ: أَنَّ أَنَسًا مِنْ عَبْدِ القَيْسِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم- قَالَ، وَقَالَ نَبِيُّ الله -صلى الله عليه وسلم- لَأَسْحَجَ عَبْدُ القَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الحِلْمُ وَالْأناةُ». والحِلْمُ: العقلُ، والأناةُ: التَّرفُّقُ وَعَدَمُ التَّعَجُّلِ.

وفي سنن الترمذي وغيره عن سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الجُهَنِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ». قَالَ الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

هذا وقد وصف الله نفسه بالحلم، وسمّى نفسه الحليم. وَرَدَ هذا الإسم في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، تارة مقرونا باسم الله الغفور، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 225)

وتارة مقرونا باسم الله العَفي، قال سبحانه: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللهُ عَنِي حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 263)

كما جاء أيضا مقرونا باسم الله العليم، وورد أيضا مرتبطا باسم الله الشكور.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» إخوة الإسلام:

من أسماء الله الحسنى الحليم، وهو الذي له الحِلْم الكامل، حِلْمٌ وَسِعَ أهل الكفر والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة؛ لعلهم يتوبون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر: 45)

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الحَلِيمُ فلا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عَصِيَانِ

فمن تاب ناله حِلْمُ اللهُ وعفوه ومغفرته.

عن أبي طويلٍ شَطَبَ المَمْدُودِ رضيَ اللهُ تعالى عنه أَنَّهُ أتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ مَنْ عمل الذنوبَ كُلِّهَا ولم يتركْ منها شيئاً وهو في ذلك لم يتركْ حاجةً ولا داجةً إلا أتاها ، فهل لذلك من توبةٍ؟» قال: «فهل أسلمت؟» قال: «أما أنا فأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وأنتَ رسولُ اللهُ» قال: «تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلنَّ اللهُ لك خيراتٍ كلهنَّ» قال: «وعَدْرَاتِي وَفَجْرَاتِي؟» قال: «نعم» قال: «اللهُ أكبرُ. فما زال يُكَبِّرُ حتى تَوَارَى» (أخرجه الطبراني وغيره)

إنه لولا جِلمُ اللهُ ومغفرته، لزلزلت السماوات والأرض جِراء معاصي العباد. قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللهُ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر: 41) إن اللهُ سبحانه وتعالى الحليم بجلمه يدر على خَلقه النعم الظاهرة والباطنة ولا يحبسُ عن عباده بذنوبهم الفضل والإنعام مع معاصيهم وكثرة زلاتهم.

في الصحيحين عن أبي موسى - رضي اللهُ عنه - عن النَّبِيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم - قال: «لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا ، وَأَنَّهُ لَيَعَا فِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

كما أن الجِلمُ أيضًا من صفات خيار عباد الله من النبيين والمرسلين. قال تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: 114)

لَأَوَّاهُ أَي: رَجَّاعٌ إِلَى اللهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، كَثِيرُ الذِّكْرِ وَالِدَعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِإِنَابَةِ إِلَى رَبِّهِ.

حَلِيمٌ أَي: ذُو رَحْمَةٍ بِالْخَلْقِ، وَضَفْحٌ عَمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الزَّلَاتِ، لَا يَقَابِلُ الْجَانِي عَلَيْهِ بِجَرَمِهِ، فَأَبُوهُ قَالَ لَهُ: ﴿لَأَرْجَمَنَّكَ﴾ (مريم: 46) وهو يقول له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (مريم: 47)

وكان نبينا محمد صلى اللهُ عليه وسلم غايةً في الجِلمِ وآية، ومن مواقفه الكريمة الدالة على سعة جِلمه ما رَوته عائشة أم المؤمنين رضي اللهُ عنها أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكَ» قَالَ:

«وَعَلَيْكُمْ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللهُ وَعَضِبَ عَلَيْكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْنِكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْغُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ» قَالَتْ: «أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟» قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» (رواه البخاري)

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي اللهُ عنه - أَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ أُمِثِّي مَعَ النَّبِيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم - وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ عَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ - صلى اللهُ عليه وسلم - قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرِّي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَصَحَّكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»

وَصَدَقَ اللهُ الْقَائِلُ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 128)

إخوة الإسلام:

إن الإسلام في قرآنه وسنته يُعلِّمنا ثقافة الجِلمِ والعفو عن المُسيئين وخاصة إذا اعتذروا. يَذكر ربُّنا في سورة النور في سياق حادثة الإفك التي إنَّهم فيها عَرَضَ النبي الكريم، وكان من جملة من خاض في هذه الحادثة قريب لأبي بكر يُدعى مسطح بن أثاثة، وكان فقيرا من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، لقوله الذي قال فأَنْزل اللهُ قوله:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: 22)

وَلَا يَأْتَلِ أَي: لَا يَحْلِفُ.

فقال أبو بكر - لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ: «بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي» فَرَجَّعَ النَفْقَةَ إِلَى مَسْطَحٍ.

ويحكي سبحانه عن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وإخوته. فَمَعَ عَظْمَ خَطِيئَتِهِمُ الَّذِي اقْتَرَفُوهُ وَمَا نَالَهُ مِنْهُمْ وَمَا اجْتَرَحُوهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَابَلَ اعْتِذَارَهُمْ بِالْقَبُولِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرْنَا اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: 92)

إخوة الاسلام

إن الجلم من ثماره أنه يعمل على تآلف القلوب وهو صفة تُكسبُ المرء محبة الله ومحبة عباده، وهو خُلُق يستطيع الإنسان أن يكتسبه بالتعود والتكلف رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل.
عن أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْجِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ**».

عباد الله ما أكثرَ الحوادث والقضايا التي آلت إلى إزهاق الأرواح، أو انتهت بالإعاقة أو بقطيعة الرحم، أو بانفصام عُرى الصداقة والأخوة، أو غير ذلك من العواقب الوخيمة بسبب المبادرة إلى طاعة الغضب وحب الانتقام، وترك الجلم والأناة والتروي، وكم من ندم تبع ذلك ولكن في وقت لا تنفع فيه الندامة والحسرات.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**». (البخاري)

أسأل الله أن يهديني وإياكم إلى محاسن الأخلاق ومكارمها، وأن يقيني وإياكم مساوئ الأخلاق ومنكراتها. آمين.